

الفصل الثالث:

دراسة الخطاب الإعلامي للصحافة الوطنية الحزبية نموذج "العلم" و"الاتحاد الاشتراكي"

من المؤكد أن دراسة مضمون خطاب أي صحيفة وطنية، يؤدي حتما إلى دراسة مضمون الخطاب والفكر السياسيين للجهاز الذي يسهر على تلك الصحيفة. وبالتالي يكون عنصر الاستقلالية والموضوعية غير وارد في هذه الدراسة.. الشيء الذي يؤكد مدى ارتباط هذه الصحيفة أو تلك بالفكر الحزبي "الضيق" الذي غالبا ما يكون له الأثر السلبي في بعض الأحيان على عملية التواصل داخل إطار عمل إعلامي خال من كل نزعة سياسية و"نصرة" حزبية. فالرسالة الإعلامية رسالة نبيلة، وتبليغها في مثل هذه الظروف يبقى في حدود ضيقة وصعبة التحقيق. وبالتالي يكون المتلقي، ذلك الشخص العادي أمام "كومة" من الأفكار والنظريات "المؤدجة" التي تبقى في الأخير متداولة بين فئة معينة من المتحزبين الحاملين لهذا الشعار أو لتلك النظرية. وتبقى الصحيفة، ذلك المنتج الإعلامي البائد بمثابة "بوق دعاية" فقط لا صلة له بالدور الإعلامي المنوط به. بل والأكثر من ذلك فهو يشتغل بموازاة مع ما تخلفه الظروف، سواء كانت سياسية أو اقتصادية. ويتجلى ذلك خصوصا في أيام الحملات الدعائية الانتخابية، بحيث أن الجريدة تصبح عبارة عن "مكبر صوت وصورة" لأفراد الحزب ومناضليه.

وما هذا إلا مثل بسيط إذا ما قسناه على باقي المناسبات الأخرى.

إن دراسة الخطاب الإعلامي السياسي للصحافة الوطنية الحزبية، يستشف من خلال دراسة مضمون ذلك الخطاب، ولعل هذا المضمون يكون واضحا وجليا بطريقة مباشرة من خلال بعض الأعمدة الثابتة، أو غير المباشرة من خلال بعض الصفحات التي تركز التوجه السياسي الذي يبنني عليه الحزب الكفيل بهذه الجريدة أو بتلك.. وارتكازا على هذا المبدأ، سنحاول التطرق إلى مضمون الفكر الحزبي المتضمن في جريدتي "العلم" و"الاتحاد الاشتراكي"، وذلك بحكم أن الأولى ناطقة باسم حزب الاستقلال، والثانية باسم الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية.. وهما معا يعتبران في الظروف السياسية الراهنة التي يوجد عليها المغرب، قطبي المعارضة السياسية بتشكيلهما معا بالاشتراك مع كل من حزب التقدم والاشتراكية ومنظمة العمل الديمقراطي الشعبي حزبا كتلويا على غرار الكتلة التاريخية -كتلة العمل الوطني-.

المبحث الأول: الجريدة كمنبر إعلامي سياسي للحزب

مما لا شك فيه أن جريدة "العلم" وجريدة "الاتحاد الاشتراكي" الناطقتان بالتوالي باسم حزب الاستقلال والاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، تعتبران رائدتي العمل الصحفي وقاطرة الصحف الوطنية الحزبية .. ولعل ذلك راجع بالضرورة إلى عدة اعتبارات، منها ما هو تاريخي ومنها ما هو سياسي.

فالكل يعلم بأن تاريخ جريدة حزب الاستقلال "العلم" يعود من حيث النشأة إلى سنة 1946، أي ما يناهز نصف قرن من الزمن، ولعل في طول هذه المدة يمكن القول بأن لجريدتي "العلم" تجربة صحفية يمكن الجزم بأنها رائدة.. أما بالنسبة لجريدة "الاتحاد الاشتراكي"، فرغم حداثة بالمقارنة مع زميلتها "العلم"، فهي تعتبر بمثابة امتداد لصحف تقدمية سبق أن وجدت على الساحة الإعلامية من قبل، من قل جريدة "التحرير" و"المحرر".

فقد عرفت جريدة "الاتحاد الاشتراكي" الظهور رسميا على الساحة الإعلامية المغربية في يوم 14 مايو 1983 جاءت بعد الحظر الذي فرض على صحافة حزب الاتحاد الاشتراكي لتكون كاستمرار أو كامتداد لجريدة "المحرر" "قرر عزم حزبنا أن نصدر ابتداء من اليوم وبصورة مؤقتة "الاتحاد الاشتراكي" لتكون المعبر بلغتنا النضالية المعهودة عن كفاحاتنا وكفاحات الجماهير الشعبية .. فمرحبا بجريدة "الاتحاد الاشتراكي" .. التي تتعهد أن تسير على منوال "المحرر"..."(1) أما فيما يخص "العلم"، فبحكم الفكر الإيديولوجي الاستقلالي التعادلي الذي سارت عليه منذ بداياتها الأولى، استطاعت أن ترسخ هذا الفكر وهذه التعادلية التي تركز أساسا على الإسلام بحكم أن الحزب نفسه "نشأ وانبثق في مناخ إسلامي، والإسلام الذي تركز عليه التعادلية الاستقلالية هو الإسلام السلفي الذي يعتبر مدخلا لتحرير الإنسان المغربي من كل أصناف التبعية ومن كل منابع الخضوع"(2).

من هنا تبدو تجليات التعادلية الاستقلالية التي تستند على أن "الحكم يبقى في خدمة المجتمع إذ أنها تجعل السلطة وسيلة والمجتمع هدفا. ومن ثم فهي تبحث عن ديمقراطية للمجتمع"(3).

ولعل هذا الخط الذي رسمه بدون شك زعيم حزب الاستقلال "علال الفاسي" يبدو وكأنه تقليد يعتمد بالأساس على مسائل الفكر عموما، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا(4).

وبهذا كله يظهر جليا النهج الذي يتبعه حزب الاستقلال من خلال جريدته بحكم أنه يعتبر الإعلام "وسيلة تربية وثقافة وتوجيه إسلامي ووطني وسياسي ودفاع عن كيان الدولة ووحدتها..."(5). فانطلاقا من كل ما سبق، لن يبقى هناك شك في أن الجريدة في المغرب تعتبر بمثابة ذلك المنبر الإعلامي السياسي الذي يخدم الحزب ويعبر عن مواقفه.. ولذلك نرى بأن جل الصحف الوطنية تكون لسان حال أحزابها،

تعمل من أجل مصلحة الحزب ومن أجل إبراز توجهاته الإيديولوجية، ناسية أو متناسية الدور الإعلامي المهم والخطير الذي يجب أن تقوم به.

المطلب الأول: الافتتاحية والخطاب المباشر

تعتبر الافتتاحية إحدى أهم مكونات الجريدة، ومن خلال تتبعنا لها يمكننا أن نعرف الشيء الكثير عن الحزب وعن توجهاته السياسية، وعن مبادئه.. بل وحتى عن مواقفه إزاء مختلف القضايا الراهنة.. وهي أساسا تعتبر الناطق الرسمي باسم الحزب.

الفرع الأول: افتتاحية "العلم" والخطاب الاستقلالي التعادلي

تتدرج الافتتاحية بالنسبة لجريدة "العلم" في سياق راهنية الأحداث حسب الواقع الذي يفرض نفسه، سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية. وبذلك فهي تكون المعبر والناطق الرسمي باسم الحزب، مرتكزة على أفكاره ومبادئه الثابتة والتي من خلالها يمكن تحليل ذلك الواقع. فالملاحظ أن الافتتاحية في جريدة "العلم" لا تتميز بالاستمرارية اليومية، بل نجدها تظهر وتختفي حسب نوعية الحدث وحسب أهميته وأنيته (6). والمغرب في السنوات الأخيرة عرف تطورات على جميع الأصعدة ميزته عن باقي السنوات الأخرى، وكان للأزمة دورها في إغناء الافتتاحيات حيث وجدت الصحافة الحزبية المعارضة خصوصا في الأزمة، مجالا خصبا للحديث منتقدة النهج الحكومي ومستعرضة برامجها السياسية والاقتصادية والاجتماعية مرتكزة بطبيعة الحال على إيديولوجيتها وفلسفة مذهبها الحزبي. وهكذا نجد على سبيل المثال لا الحصر، أن افتتاحيات جريدة "العلم" أو بالأحرى افتتاحيات حزب الاستقلال لشهري أكتوبر ونونبر من سنة 1994 كانت تركز كلية على الحديث عن الأزمة التي يعيشها المغرب، فنقرأ مثلا:

* في الأزمة السياسية: إنقاذ المؤسسات الدستورية .. ماذا تريد هذه الأحزاب من هذا التعهد؟ تريد أن يكون الحكم في المستقبل قائما على القانون أولا. وتريد إصلاح ما أفسده الجهاز الإداري... وفي مقدمة ما تستهدفه الأحزاب من إرساء قواعد مغرب قوي بمؤسساته الديمقراطية تعديل الدستور، وخاصة منه مادة تكوين المجلس (الفصل 43)... هذه خطوة دستورية لإنقاذ المؤسسات الدستورية. وإذا كانت المقررات الدستورية لا تكفي وحدها للإنقاذ، لأن التنفيذ هو الأساس، فإن ذلك من مهمات الحكومة المنتظرة فيما يرجو الشعب. (7)

* في الأزمة السياسية: مسؤوليات الحكومة القادمة وواجباتها: "التغيير الذي نادى به الهيئات الديمقراطية منذ أزيد من خمس سنوات ليس شعارا أجوف يراد منه لفت النظر إلى الأوضاع المتردية التي تعيشها البلاد فحسب، أو يراد منه لفت النظر إلى الأحزاب نفسها وبرامجها المتجددة التي قدمتها في كثير من المناسبات، ولكنه "مشروع" لتطوير المغرب سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا في إطار الديمقراطية الدستورية.

... هذا ما يؤكد أن مسؤوليات الحكومة وواجباتها ثقيلة. وفي مقدمة المسؤوليات والواجبات تطهير الجهاز الإداري ... القضاء على البطالة أو التخفيف منها وخاصة بطالة المتعلمين... ومن ذلك، القضايا التي تهم التعليم والصحة والسكنى والعدل والتشغيل.. ولكل ذلك فإن تكوين الحكومة نفسه يجب أن تراعى فيه هذه المسؤولية... (8).

* في الأزمة السياسية: .. والأزمة الحكومية "من المؤكد أن الأزمة السياسية أفرزت عدة أزمات في مقدمتها، وليس أخطرها الأزمة الحكومية والإدارية.

وإذا كان المغرب يعيش في أزمة سياسية مزمنة طال أمدها سنوات وسنوات، بسبب سلوك الجهاز الإداري المسيطر، والذي أصبح قوة متحكمة في مسيرة التاريخ السياسي، يكون المؤسسات ويفرغها من محتواها، ويركز حوله كل أجهزة الدولة ونشاطها، إذا كان الأمر كذلك فإن المغرب أصبح يعيش أزمة حكومية مستمرة، ... ويوم تتخلص البلاد من الأزمة السياسية المتوالية باستقرار الحكم الدستوري فيها يمكن أن نرجو استقرارا في العمل وتطورا في الإنتاج(9).

* تدعيم المسيرة الاقتصادية: "إذا كان على المغرب أن يتبع سياسة إنقاذ للاقتصاد بعد الوضعية المأساوية التي تتخبط فيها ... فإن تدعيم المسيرة الاقتصادية في حاجة إلى جهود كبرى .. نتحدث عن بعض الوسائل الاقتصادية الضرورية مهتدين بتقرير البنك الدولي.

في مقدمة الوسائل الأساسية التخطيط للنمو الاقتصادي. ذلك أن التخلي عن التخطيط هو تخلي من التنظيم والدراسة والبحث ووضع الأهداف والأولويات وتجنيد الطاقات المادية والبشرية والمالية. والتخطيط التزام من الدولة ... ببرنامج إنقاذي، والتزام من الشعب بتمويل هذا البرنامج عن طريق الضرائب، وبتنفيذه عن طريق العمل المستمر الذي تشارك فيه الطبقة العاملة، ويشارك فيه القطاع الخاص بجهوده الاستثمارية والمالية.. (10).

فالخطاب المباشر لحزب الاستقلال كما رأينا وفي ظل الأزمة، اتجه صوب تحديد مفاهيمه واتجاهاته من خلال تلك التفسيرات التي أوردها في تلك الافتتاحيات. ومن خلال ذلك أيضا نقرأ أن حزب الاستقلال

يستند في برنامجه الاقتصادي على "المبادئ الأساسية التي يقوم عليها مذهب الاقتصاد والاجتماعي، وهو التعادلية الاقتصادية والاجتماعية التي تبلورت مبادئها وأهدافها في وثيقة 1963" (11)، وهذا ما يستشف من تلك الحلول والبدائل الخاصة بالميدان الاقتصادي والاجتماعي، إذ أنه يرى بأن "الأزمة الاقتصادية التي يعيشها المغرب لها أسباب هيكلية وأسباب تتعلق بالاختيارات معا، المجال الذي يتحرك فيه الاقتصاد المغربي" (12).

كما أننا نلاحظ بأن الافتتاحية في جريدة "العلم" تظهر أيضا في جل المناسبات الوطنية من مثل ذكرى 11 يناير التي تزامن مع مناسبة تقديم وثيقة الاستقلال المعروفة بوثيقة 11 يناير 1944، ثم تاريخ 2 مارس ذكرى الإعلان عن استقلال المغرب في مارس 1956. و20 غشت ذكرى ثورة الملك والشعب ... كلها تواريخ ساهم فيها حزب الاستقلال وكان له فيه النصيب الأوفر. هذا بالإضافة إلى افتتاحيات المناسبات الخاصة والتي غالبا ما تكون لها علاقة بزيارات الدولة أو بمناسبة انعقاد مؤتمرات أو بمناسبة أيام وطنية أو دولية.

هكذا تكون الافتتاحية كمنفذ يعبر من خلاله حزب الاستقلال عن مبادئه الاستقلالية التعادلية المتضمنة في تقريره المذهبي وفي تقاريره السياسية والاقتصادية والاجتماعية(13).

الفرع الثاني: افتتاحية "الاتحاد الاشتراكي" والخطاب المباشر للايديولوجيا الاشتراكية

كانت أول افتتاحية لجريدة "الاتحاد الاشتراكي" بمثابة المعبر الرسمي للنهج الإيديولوجي لحزب "الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية". وهو الخطاب الذي يتميز بنبرة تصعيدية معتمدة على النضال الجماهيري.

"قرر عزم حزبنا أن نصدر ابتداء من اليوم .. "الاتحاد الاشتراكي لتكون المعبر بلغتنا النضالية المعهودة عن كفاحاتنا وكفاحات الجماهير الشعبية.." (14).

فالملاحظ أن كلمتا: النضال، والكفاح، إلى جانب الجماهير الشعبية خير دليل على توجه الإيديولوجي للجريدة، وهو الشعار الذي سيظل الاتحاد الاشتراكي يحمله في جل خطاباته الرسمية المباشرة أو غير المباشرة. ولذلك أيضا نرى بأن الحزب يقو بأن الاتحاد الاشتراكي هو اتحاد القوات الاشتراكية الكادحة، وعمله في ذلك هو من أجل استراتيجية ديمقراطية واشتراكية. فمن خلال قراءة لافتتاحيات(15) "الاتحاد الاشتراكي" يمكن استخلاص النهج الإيديولوجي الاشتراكي الذي يريد الحزب تطبيقه وإيصاله عبر منبره الإعلامي وعلى جميع الأصعدة. هذا الخطاب الذي يبدو واضحا للقارئ المتتبع والذي يتخذ من الأحداث موضوعا رئيسيا لتوجيه الخطاب الاشتراكي الذي أصبح ممزوجا بكلمة "الديمقراطية".

وكما هو الشأن بالنسبة لجريدة "العلم"، فإن الافتتاحية في الاتحاد الاشتراكي تظهر وتختفي حسب الظروف والأحداث.. وبحكم أن الحزب، ومنذ ظهوره يوجد في ضفة المعارضة، فقد تيسر عليه توجيه الخطاب المنتقد للسياسة الحكومية والمتعارض مع ما تتخذه من قرارات سواء كان ذلك على المستوى السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي. أما من ناحية موقفه اتجاه الأحداث الدولية، فقد كانت مواقف ضد ما يسمى بـ"الامبريالية" ومواجهة النظام العالمي الجديد.

فمن ذلك كله، وعبر جولة داخل افتتاحيات "الاتحاد الاشتراكي"، نقرأ على سبيل المثال:

- "إن حكومة غير قوية وغير منسجمة وتفقدت إلى الامتداد الشعبي والنيابي ولا تؤمن بالحوار ولا تمارسه، لن تكون في مستوى متطلبات مغرب اليوم بمشاكله وطموحاته وتحدياته.." (16).

- "... ولم تكتف واشنطن بهذا الموقف الشاذ إزاء خرق سافر للأوقات الدولية، بل أضافت إليه تفسيراً أقل ما يقال عنه، هو أنه لا يقنع حتى البلهاء السذج، فأحرى أن يقنع الدول والشعوب العاقلة..." (17).

- السي عبد الرحيم، أحد كبار صانعي أحداث التحرير والعودة...

"... والواقع أن عودة الأخ البصري هي ثمرة كفاح، ونتيجة جهاد دام زهاء ثلاثة عقود، توج في النهاية بصدور العفو الملكي عن جميع المعتقلين، وكافة المغتربين والمنفيين، والذي قاد هذا الكفاح المثابر وظل يقوده إلى آخر لحظة هو الفقيه العزيز، والراحل الكبير المرحوم عبد الرحيم بوعبيد أن من حق السي عبد الرحيم، والخطط الحكيمة التي اتخذها وبذلها، إلى عهد الديمقراطية وحقوق الإنسان..." (18).

* "ومن ثم فالجريدة تلتزم بما هو متفق عليه جماعياً، وتتجنب القضايا الخلافية، تنظيمية كانت أم سياسية. وطوال فترة صدورها عملت الجريدة على الالتزام بهذا الخط مجسدة بذلك نهج الاتحاد والتزامه بقضايا الجماهير ودفاعه عن حقوق الطبقة العاملة، مع الانفتاح على المجتمع المدني وقواه الحية في غير تعصب أو تشنج أو انهزامية، أو إقصاء، معتبرة أ، حق التعبير والرأي وحق الاختلاف، حقوق غير قابلة للتجاهل في جريدة هدفها هو خدمة الصالح العام، صامدة في وجه جميع الضغوط من أية جهة كانت متشبثة كل التشبث باحترام القارئ واحترام الرأي الحزبي والرأي الوطني ورفض كل تضليل إعلامي، معتبرة أن أعم رأسمال للصحيفة التي تحترم نفسها وتحترم قراءها هو المصادقية، مصادقية الخبر، ومصادقية الرأي ومصادقية الموقف..." (19).

* "أما إذا بقيت الأمور على ما هي عليه، وظلت الحكومة تتحجج بأن المذهب الليبرالي الذي ارتضته لنفسها لا يجبرها على تشغيل أي كان، ولا البحث عن كفاءات توظيف طاقات الشباب، وضمان العيش الكريم لهم، فإن أوضاع الشباب ستتفاقم..." (20).

* طريق الإصلاح والتغيير: "ليس أمام المغرب عدة اختيارات، إذا أراد إنقاذ نفسه وإصلاح أموره، بل هو أمام اختيار واحد ووحيد... إنه اختيار التغيير، لا تغيير الوجوه والأسماء بل التغيير العميق الذي يحدث قطيعة مع الممارسات والعقليات والتوجهات والاختيارات التي نوّدي اليوم فاتورتها الباهظة

التكاليف. نؤديها في شكل بطالة متنامية وفساد مستشر، وإثراء فاحش وغير مشروع لدى أقلية، وقرر متزايد وخدماته لأقساط مهمة من الميزانية السنوية، ولاقتصاد التبذير والإسراف لجزء مهم لما يرصد لهذا القطاع أو ذلك، ولامتصاص عدم الوفاء بالالتزامات للمصداقية والثقة... (21).

* المسؤوليات جسام... ولا حكومة مسؤولة: "اتضح بالملموس ومنذ شهر أن بلادنا لا تتوفر على حكومة، وصارت كالسفينة التي تعطلت أجهزة القيادة بها، وتجرفها التيارات ذات اليمين وذات الشمال، وتجري كما شاءت الرياح دون التزام بخط سير معلوم للوصول إلى هدف معلوم" (22).

المطلب الثاني: الأركان الثابتة في ملامسة الواقع

من ضمن آليات الخطاب المباشر في الصحافة الوطنية الحزبية، ظهور بعض الأركان الثابتة كتركية للخطاب السياسي للحزب وكمتابعة يومية لأحداث لها أهميتها ووقعها بالنسبة للمجتمع ككل... فالعمود الثابت غالبا ما يتوجه بالخطاب إلى الرأي العام الوطني من أجل تمرير خطاب معني، كما يعتبر بمثابة المخاطب الرسمي للشعب. ومن خلاله تتم عملية التواصل بصفة مباشرة مع القارئ، عاديا كان أم مثقفا... وعبره يوجه ذلك الخطاب المباشر بأسلوب مركز وبعبارات معبرة غالبا ما تكون جد مبسطة، ولعل المثل القائل: "خير الكلام ما قل ودل" لينطبق تماما على هذا الجنس الصحفي الذي يأخذ ركننا منزويا من الصحيفة ليتكلم في بعض الأحيان بكلام لا تنطبق به مختلف مواضيع الجريدة. ومن بين أهم هذه الأركان الثابتة نذكر على الخصوص ركن "مع الشعب" لجريدة "العلم" وركن "من يوم لآخر" لجريدة "الاتحاد الاشتراكي" لما يتميزا به من وضوح وخطاب مباشر معبر غير خال من توجهات إيديولوجية.

الفرع الأول: ركن "مع الشعب" ومواكبته لهماهم الشعب

إن عمود "مع الشعب" يعد بمثابة الأركان الثابتة في جريدة "العلم" ولا أحد يمكنه أن ينازع في حسن اختيار صاحب العمود لهذا الاسم.. لكن الدارس لإيديولوجية حزب الاستقلال لا يمكنه أيضا أن يغض الطرف على أن الحزب يتبنى الشعبية، بحيث أنه يكرس واقعه كحزب جماهيري منذ نشأته الأولى. ومن هنا يأتي العمود ليكرس هذا المفهوم أيضا وليعانق الشعب من خلال طرحه لعدة قضايا تهم الشعب. وبما أن كاتب "مع الشعب" من منظري حزب الاستقلال، فلا غرابة في أن يكون العمود مشبعا بمبادئ وأفكار الحزب باطنة كانت أم ظاهرة.

فمن خلال قراءة لمجموعة من مواضيع "مع الشعب" يلاحظ جليا الفكر التعادلي بصيغة واضحة المعالم.. بالغرم من أن هذا العمود يخاطب في أحيان كثيرة، الشعب بطريقة مباشرة مزكيا ذلك بأمثلة

شعبية متداولة بين الناس، مما يزيد نكهة خاصة ومدلولا أعمق، هذا لما للأمثال الشعبية من أهمية في إضفاء روح السخرية على أي حدث.

العمود إذن يواكب الأحداث الوطنية أولا، ثم الدولية .. ولهذا فإننا نلاحظ بأن "مع الشعب" يكتسي طابع التنوع في مواضيعه .. فتارة سياسية ومرة اقتصادية وأخرى اجتماعية. بحيث أنه ينطلق من فكرة معينة ليحللها من خلال بط جوانبها مرتكزا -بطبيعة الحال- على المرجعية التأطيرية "الحزب". هذا إلى جانب محاولة مزج السخرية بالواقع منتها في ذلك طريق الانتقاد المباشر عبر همسات رنانة في ظاهرها، لكنها لكلمات موجهة في باطنها ..

ولعلنا نستشف ذلك من خلال جولة سريعة بين ثنايا "مع الشعب".

* "محو الأمية ليس بالعمل الهين حتى يكون "خضرة فوق الطعام" لا سلطة تتخصص فيه بالقانون، ولا قانون يضبطه، ولا ميزانية له تتصدر أرقامها قانون المالية، ولا جهازا إداريا ينظمه ويشرف على إنجازها..."(23).

* "وأعتقد أنها خطوة موفقة لأن مصر هي من المغرب العربي، يمكن أ، تكون مرتبطة بالمغرب أكثر مما هي مرتبطة بالمشرق... وكان علال الفاسي رحمه الله يدعو إلى تكوين المغرب العربي من البحر الأحمر إلى المحيط وأن تكون مصر في مقدمة دول الفاعلة ... فلا غرابة إذن حينما تأتي الدعوة من المغرب على لسان علال الفاسي لتكون مصر عضوا في اتحاد المغرب العربي..."(24)

* " ... وقد التزمت مصالح وزارة الداخلية بأن الانتخابات ستجري في إطار احترام القانون والحياد التام والنزاهة طبقا للتعليمات الصارمة للسيد وزير الدولة في الداخلية... من صميم قلوبنا نرجو أن تنفذ "التعليمات الصارمة... بود المواطنين جميعهم وسيكونون سعداء أن يعلنوا هذه المرة أن الانتخابات كانت نزيهة 100% بدلا من أن تكون لصالح "فلان" ضد باقي المرشحين بـ99, 99% مرة واحدة في عمر الانتخابات نريدها نزيهة..."(25).

* "... الحكومة عاجزة عن التفكير، ولعلها عاجزة حتى عن الكلام ... وهي تقول مع جحأ، وقد أتقلوا على ظهره الأحمال: "غير زيد، ماقايمشي .. كا قايمشي..."(26).

* "نحن أبناء اليوم: لماذا أنقذت الحكومة هذه القناة... وقدمت في ذلك أموالا للشعب مع أنها قطاع خاص... الأمر لا يقتصر على هذا، بل يتعداه إلى أن الحكومة ستتولى هذه القناة وتسيرها وتنفق عليها، ما قدوش الفيل زادو الفيلة..."(27).

الفرع الثاني: "من يوم لآخر" وواقع الأمور..

أهم ما يميز ركن "من يوم لآخر" في جريدة "الاتحاد الاشتراكي" هو احترامه لعملية الصدور اليومي ليواكب جميع الأحداث والمستجدات.(28)

فمن خلال عملية تتبع لسطور ركن "من يوم لآخر" ومن خلال تأمل عميق في المواضيع المدرجة ضمنه، يلاحظ هيمنة الأخبار ذات الطابع الهادف إلى تعرية الأوضاع، كيفما كانت نواحيها... الشيء الذي يزكي التوجه الانتقادي الذي يتميز به العمود على الدوام، ولعل ذلك يكون طبيعياً بحكم تواجد الحزب المشرف على الجريدة في صف المعارضة منذ أن وجد ضمن الفعاليات السياسية المغربية، وأيضاً نتيجة ثقافة إعلامية وسياسية ثاقبة تقف وراء تحرير الركن المذكور. أما من ناحية الأخبار الدولية وتعاليقه عليها فغالبا ما تكون مغيبة إلا في حالات جد استثنائية وظهورها يكون بمثابة رأي أو موقف حزبي إزاء القضية المدرجة.

أما الأسلوب المستعمل في مواكبته لجل الأحداث اليومية، فغالبا ما يطبع عليه النقد المباشر الممزوج بالسخرية في بعض الأحيان، وبالإخبار الحزبي المباشر أحيانا كثيرة. ومن أجل استشفاف ذلك، ندرج بعض النماذج لكتابات ذ. مصطفى القرشاي من داخل عمود "من يوم لآخر".

* "أقول إن المراقبين، وعموم المواطنين، فوجؤوا بموقف حكومتنا خلال مفاوضاتها مع المجموعة الاقتصادية الأوروبية حول ملف الصيد البحري، والباعث على المفاجأة هو أننا تعودنا على أن تأخذ حكومتنا رغبات المجموعة الأوروبية كأوامر، وأن "تبنّدق" و"تبايع" أمام مسؤوليها، إن لم نقل إنها تتبطح أحيانا ملتزمة الرضى، ومع مرور الزمن لم يحصل الرضى، بل كان جزاء حكومتنا الصد والهجر بل والزجر أحيانا"(29).

* "... إلا أن المهيمن بالنسبة لحقوق الإنسان ببلدنا، والمشين بالنسبة لروح هذه الاتفاقية الدولية، هو أن يضم الوفد المغربي، الذي سيدافع عن موقف المغرب وإنجازاته في مجال مناهضة التعذيب وإقرار حقوق الإنسان، ضمن أعضائه أحد دهاقنة التعذيب الذي تقشعر من سماع اسمه فقط، أبدان مئان المعتقلين ممن ما زالوا على قيد الحياة، والذي كان مشرفا على تدمير الأجساد وتخريب النفس والروح بدهاليز معتقل درب مولاي الشريف الرهيب بالدار البيضاء، خلال فترة السبعينات"(30).

* "لأم الوزارات مع الجماعات المحلية واختصاصاتها قصة عجيبة أشبه ما تكون بقصة القرد الذي أراد أن يقسم قطعة جبن بينه وبين القط، حيث تذرّع القرد الخبيث بالنزاهة وحب القسمة العادلة، فأخذ يقضم في كل مرة من إحدى قطعتي الجبن كي تتحقق المساواة، حتى لم يبق على شيء يستحق الذكر من قطعة الجبن. وعذره في ذلك أن الميزان لم يستقم. وكذلك وزارة الداخلية، فالميزان لم يستقر بعد في نظرها في العمل الجماعي..."(31).

* "بعد صيام دهر أفطرنا على جرادة، أو على الأصح فوجئ البعض ممن كان يغلب عليهم حسن الظن، بضحالة مستوى التشكيلة الحكومية الجديدة. أما الذين يعرفون أن فاقد الشيء لا يعطيه فلم تكن مفاجأتهم كبيرة، وإن أذهلتهم بعض الأسماء... فالظاهر أن الواحد لا يبذل صاحبه إلا بما هو "أكرف" منه.

... الله يصبر السيد الفيلاي، وأن يختم "سربيسه" مع هذا الفريق "المبرهش" بما يحافظ على كرامته الشخصية، لأن الذي يتسحر مع "البراهش" لا يمكن إلا أن يصبح مفطرا. والبراهيش هنا، أقصد بهم براهيش السلوك لا السن..."(32).

* "كان الزي الجديد لرجال الأمن موضوع تعليقات غنية بالدلالات، أثارها المواطنون لدى رؤيته .. فالبعض اعتقد أنه زي خاص بالعيد .. وقال آخرون أن الزي الجديد لونه داكن يجعل رجل الأمن يظهر من مسافة بعيدة ... ومن أطرف التعليقات .. -ماذا عن جيوب الزي الجديد، هل هي في نفس سعة جيوب الزي القديم؟..."(33).

* "قالوا لوزير السياحة الجديد، هل تعرف علم السياحة؟ قال لهم نعم، أعرف أن أزيد فيه! وحاصل ما في الأمر، أنه كان المنتظر أن يشرع الوزير بعد فترة تأمل ودراسة للملفات في توضيح معالم سياسته، أو يكتفي بالسير على نهج سلفه، الذي قام فعلا بمبادرات حركت سواكن قطاع السياحة. فإذا به يزيد في الطنبور نغمة، ويعلن أن الذي يخص السياحة هو إنشاء أندية للقمار كي تجلب إلينا السياح..."(34).

المطلب الثالث: بعض أوجه الخطاب المباشر

- الأنشطة الحزبية والنقابية-

لا يختلف اثنان على أن للجريدة عدة أوجه للخطاب الإعلامي السياسي المباشر، خارج دائرة الافتتاحية والركن أو العمود الثابت. ويظهر ذلك جليا من خلال تناول أخبار الحزب ومواكبة أشغال نوابه في البرلمان، إضافة إلى متابعة النشاط النقابي الذي يعتبر امتدادا لسياسة الحزب وواحدا من مكونات وجوده.

الفرع الأول: الأنشطة الحزبية والمغلاة في الخطاب الحزبي المباشر

يدخل في هذا الإطار كل ما يمت بصلة، سواء من بعيد أو من قريب إلى الحزب، وهكذا نرى على صفحات الجريدة جميع الأخبار المتعلقة بأنشطة الحزب.. من تنقلات واستقبالات وتدخلات واجتماعات فريقه النيابي .. إضافة إلى إبراز بعض الذكريات والمناسبات المهمة في تاريخ الحزب والتي يعدها مفخرة لا يمكن عدم الاهتمام بها.

فمن خلال إطلالة على صفحات جريدتي "العلم" و"الاتحاد الاشتراكي" نلاحظ تلك المغلاة في طرح قضايا الحزب وأموره وما يتعلق بأنشطته الموازية، الشيء الذي يؤثر على الخطاب الإعلامي للصحيفة ويجعله في كثير من الأحيان خطابا أحادي الجانب.

- انطلاقا من عملية استقراء للرأي قمت بها حول موضوع قراءة أنشطة الأحزاب في الصحيفة، كانت النتيجة أن نسبة 88 % لا تحبذ ذلك. وهذا يعني أن نسبة 12 % فقط هي المفترض أن تكون

متحزبة وتريد الاضطلاع على نشاط الحزب، أو ربما هناك ضمن النسبة الأولى متحزبون لكنهم يرفضون وجود صفحات مملوءة بتدخلات وتنقلات ونشاطات الأحزاب، خصوصا عندما يتخذ الأمر حيزا كبيرا من الصفحة الأولى، وكثيرا من الأحيان صفحة أو صفحتين داخل الجريدة!

- ومن خلال دراسة داخل عدد من أعداد صحيفة "العلم" و"الاتحاد الاشتراكي" يلاحظ الغلو في سرد نشاطات تلك الأحزاب، سواء كانت حزبية أو نقابية .. وحتى نعطي فكرة عن ذلك، كان من الواجب ذكر بعض المواضيع المتناولة في هذا المضمار، ومن كلتا الجريدتين.

وهكذا نجد أن "العلم" يواظب مثلا على نشر بلاغات الحزب، ويتابع أنشطة مسؤوليه ونوابه، بل ونشر بعض المداخلات كاملة وفي صفحة كاملة .. كما أنه يحرص كل الحرص على تخليد ذكرى وفاة زعيمه الروحي -علال الفاسي- خلال شهر ماي من كل سنة. وهذه الذكرى تكون مناسبة للحزب من أجل التذكير بأمجاد حزب الاستقلال وبما حققه من منجزات وتضحيات في سبيل استقلال البلاد.

فنقرأ على سبيل المثال: في جريدة "العلم":

* اجتماع المجلس الوطني لحزب الاستقلال ... عدد 16253 بتاريخ 27 أكتوبر 1994: ص: 1.
* في جلسة الأسئلة الشفوية بالبرلمان: النواب الاستقلاليون. عدد 16264 بتاريخ 7 نونبر 1994 ص 4.

* من أسئلة الفريق الاستقلالي للوحدة والتعادلية ... عدد 16265 بتاريخ 8 نونبر 1994 ص 4.
* حزب الاستقلال يشارك في مؤتمر راديكالي اليسار. عدد 16267 بتاريخ 10 نونبر 1994 ص: 1.

* مع أبي بكر القادري في مذكراته .. عدد 16267 ص: 12.
* في أسئلة للفريق الاستقلالي لمجلس النواب .. عدد 16271 بتاريخ 14 نونبر 1994 ص 4.
* بالمعرض الخامس للكتاب والنشر، وفد من قيادة الحزب يزور رواق العلم والرأي .. عدد 16274 بتاريخ 17 نونبر 1994 ص: 4.

* الأخ بوسنة الأمين العام لحزب الاستقلال في مهرجان تخليد الذكرى الواحدة والعشرين لوفاة الزعيم علال الفاسي ... عدد 16453 بتاريخ 15 مايو 1995 ص: 1 و 3.
* الأخ محمد بوسنة في الذكرى 25 لوفاة الزعيم عبد الخالق الطريس .. عدد 16467 بتاريخ 29 مايو 1995 ص: 1 و 2.

* الأخ الأمين العام الأستاذ محمد بوسنة في مهرجان كبير بابن جرير .. عدد 16506 بتاريخ 7 يوليو 1995 ص: 4.

* الأخ مولاي محمد الخليفة في ذكرى ثورة الملك والشعب بمراكش .. عدد 16506 بتاريخ 7 يوليو 1995 ص: 4.

* حزب الاستقلال حزب جميع المغاربة عدد 16552 بتاريخ 22 غشت 1995 ص: 1.

* في حديث للأمين العام لحزب الاستقلال الأخ محمد بوستة لمجلة "جون أفريك" عدد 16614 بتاريخ 23 أكتوبر 1995 ص: 1.

* بيان المركز العام لحزب الاستقلال حول الذكرى العشرين للمسيرة الخضراء عدد 16628 بتاريخ 6 نونبر 1995 ص: 1.

* في حديث جامع إلى "الشرق الأوسط" الأخ محمد بوستة يؤكد .. 16640 بتاريخ 18 نونبر 1995 ص: 1.

* في عرض الأخ محمد بوستة الأمين العام لحزب الاستقلال في اجتماع مفتشي الحزب .. عدد 16766 بتاريخ 23 مارس 1996 ص: 1 و 2.

وكما هو الشأن بالنسبة لجريدة "العلم"، نرى بأن جريدة "الاتحاد الاشتراكي" تسير على نفس المنوال في تتبعها للأنشطة الحزبية وإعطائها المكانة الأولى ولو على حساب أي حدث وطني أو دولي.. والملاحظ أيضا أن "الاتحاد الاشتراكي" أكثر مغالاة في تتبع ونشر كل ما يتعلق بأنشطة الحزب بينما تبقى المشاكل الداخلية حبيسة الجدران، لاحق للرأي العام في الاضطلاع عليها... وهكذا نقرأ على سبيل المثال:

* الفقيه البصري في أول حديث للاتحاد الاشتراكي -إعلان في الصفحة الأولى والصفحة 8 بكاملها (عدد 4082 - 12 أكتوبر 1994).

* اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية تتدارس موضوع تشكيل الحكومة.

* محمد اليازغي الكاتب الأول بالنيابة يقول في تقرير المكتب السياسي... (الصفحة الأولى + الصفحة 3 - عدد 1408 بتاريخ 7 نونبر 1994).

* محمد اليازغي الكاتب الأول بالنيابة في تجمع حزبي بالرباط .. (ص: 1 و 2: عدد 4114 - 14 نونبر 1994).

* محمد اليازغي الكاتب الأول بالنيابة للاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية في حوار مع القناة الثانية (ص: 1 و 2 - عدد 4125 - 23 نونبر 1994).

* محمد اليازغي في برنامج وجه وحدث بالقناة الثانية .. (ص 1 و 3 - عدد 4139 - 9 دجنبر 1994).

- * إحياء الذكرى 19 لاستشهاد عمر بن جلون: إحياء الذكرى في مختلف الأقاليم والفروع. (ص 1 وبرنامج إحياء الذكرى في ص: 2 - عدد 4146 - 16 دجنبر 1994).
- * في حوار لليازغي مع جريدة "القدس العربي". عدد 4170 - 9 يناير 1995.
- * حفل تدشين مؤسسة عبد الرحيم بوعبيد. عدد 4170 - 9 يناير 1995.
- * محمد اليازغي في تجمع جماهيري بمدينة آسفي .. (ص 1 و 12 - عدد 4212 - 20 فبراير 1995).
- * كلمة العدد 4321 - 10 يونيو 1995، افتتاحية خاصة للحديث عن السيد عبد الرحيم بوعبيد أحد كبار صانعي أحداث التحرير + عودة محمد البصري بعد 29 سنة من المنفى) عدد 4394 / 95.8.22.
- * الكاتب الأول للاتحاد الاشتراكي يدعو إلى إرادة شجاعة في التغيير .. ص: 1.
- * في المهرجان الوطني لتخليد ذكرى انتفاضة 20 غشت 1955. تغطية شاملة في الصفحات 4، 5، 6 - عدد 4394 - 22 غشت 1995.
- * عبد الرحمان اليوسفي أمام اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، ص 1 و 3 عدد 4413 بتاريخ 10 شتنبر 1995.
- * في بلاغ المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي .. ص 1 و 3 - عدد 4414 - 11 شتنبر 1995.
- * الذكرى 30 لاستشهاد المهدي بن بركة، ص 1 و 2 + 3 + 4 + 5!

الفرع الثاني: الأنشطة النقابية كتزكية لمواقف الحزب

إلى جانب الأنشطة الحزبية السالفة الذكر تكون الجريدة أيضا -مرتعا- لنشاطات النقابات والهيئات الأخرى التابعة والمنضوية تحت لواء الحزب ومن أهم هذه التنظيمات نجد "الاتحاد العام للشغالين بالمغرب" بالنسبة لحزب الاستقلال و"الكونفدرالية الديمقراطية للشغل" بالنسبة للاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية. لكن، وإلى جانب هاتان المركزيتان توجد عدة تنظيمات أخرى مثل: "الشبيبة الاستقلالية" و"الشبيبة الاتحادية"، "الشبيبة المدرسية"، "الطفولة الشعبية"، "منظمة المرأة الاستقلالية"، "المرأة الاتحادية"، "العصبة المغربية للدفاع عن حقوق الإنسان"، "المنظمة المغربية لحقوق الإنسان" .. إلى غير ذلك من تنظيمات تابعة لهذا الجانب أو لذلك.

وبذلك تكون المسألة النقابية هي الأخرى من الاهتمامات التي ينصب عليها الجريدة الحزبية، بحيث أنها لا تترك فرصة دون ذكر أشغال ومؤتمرات واجتماعات هذه الهيئات .. وبذلك أيضا يكون القطاع النقابي واجهة الحزب السياسية الاجتماعية عبر جريدته، إذ به تتم عملية الاستقطاب المباشر كما أنها عبارة عن تأكيد مدى أهميتها من الناحية الإعلامية السياسية.

وفيما يلي أمثلة مختصرة عن تلك النشاطات داخل جريدة "العلم" كما هو الشأن داخل جريدة "الاتحاد الاشتراكي".

في العلم

* بيان حول اجتماعات المكتب التنفيذي للاتحاد العام للشغالين بالمغرب: عدد 16831 - 27 مايو 1996.

* بيان الاتحاد العام للشغالين بالمغرب والكنفدرالية الديمقراطية للشغل: عدد 16805 - 1 مايو 1998.

* الاتحاد العام للشغالين بالمغرب - المكتب التنفيذي - نداء .. عدد 16804 - 30 أبريل 1998.
* النقابتان تعلنان تأجيل المسيرة الاحتجاجية.. عدد 16788 - 14 أبريل 1996.
* في بلاغ العصبة المغربية للدفاع عن حقوق الإنسان ... / 16751 - 8 مارس 1996.
* بلاغ عن الجامعة الحرة للتعليم: إضراب وطني احتجاجي.. / 16702 - 16 يناير 1996.
* في بلاغ للاتحاد العام للشغالين بالمغرب والكنفدرالية الديمقراطية للشغل: السككيون يضربون لمدة 48 ساعة / 16446 - 8 مايو 1995.

* في بلاغ للجامعة الوطنية للصحة: نجاح كبير لإضراب الشغيلة الصحية / 16485 - 16 يونيو 95.

* في بلاغ للمكتب التنفيذي للاتحاد العام للتجارة والصناعة .. / 16492 - 23 يونيو 1995.
* اتصالات بين قيادة الاتحاد العام للشغالين بالمغرب والحكومة حول موضوع الدكاترة المضربون / 16506 - 7 يوليو 1995.

هكذا إذن تكون جريدة "العلم" بمثابة الناطق الرسمي لحزب الاستقلال ولمختلف المنظمات والهيئات التابعة له... وبالتالي فخطابها يكون مباشراً لمذهب الحزب الذي يعتمد أساساً على الفكر التعادلي المستند على الاستقلال والتحرر والديمقراطية وخدمة الشعب بتحقيق العدالة الاجتماعية!!

في الاتحاد الاشتراكي

* الطيب منشد باسم ك. د. ش.. عدد 4156 / 26 دجنبر 1994.
* المكتب التنفيذي لـ: ك. د. ش. يسجل: الحكومة تتباطأ في قضايا وملفات.. عدد 4135 - 5 دجنبر 1994.

- * نوبير الأموي أمام المجلس الوطني للكنفدرالية .. عدد 4123 - 23 نونبر 1994.
- * في اللقاء الذي جمع المكتب النقابي لعمال جبل عوام (ك. د. ش.) مع وزارتي التشغيل والطاقة والمعادن ... عدد 4172 - 11 يناير 1995.
- * في بلاغ ك. د. ش. حول اللقاء مع الاتحاد العام للجامعات الاقتصادية المغربية .. / 27 - 4247 مارس 1995.
- * في رد في الاتحاد الوطني للشبيبة الاتحادية على بيان حقيقة وزارة الداخلية .. / 17 - 4268 أبريل 1995.
- * محمد جسوس أمام اللجنة المركزية للشبيبة الاتحادية .. / 24 أبريل 1995 - 4275.
- * ك. د. ش. = إضراب وطني في قطاعي السكك الحديدية والفوسفات .. / 26 أبريل 4277 - 26 أبريل 95.

* في بيان المكتب التنفيذي للكنفدرالية الديمقراطية للشغل .. / 8 مايو 1995 - 4283.

مجموعة أمثلة، لعدد هائل من البلاغات والاجتماعات والنداءات .. لمختلف النقابات التي تجد في صفحات الجريدة خير مساند، وفي الصفحة الأولى أكبر معين لتمرير الخطاب الحزبي النقابي دون أي قيد أو شرط.

وبذلك كله، تكون الجريدة .. كانت وستظل، الناطق الرسمي باسم الحزب والمعبر عن آراء ونضال جميع أجهزته النقابية والمهنية، سواء من خل الخطاب المباشر الموجه عبر الافتتاحية أو الركن الثابت... أو عن طريق نشر أنشطة الحزب والمنظمات السياسية والنقابية التابعة له.

كما أن هناك عدة أوجه أخرى للخطاب السياسي الحزبي تسعى الجريدة في إيصاله عبر خطاب حزبي غير مباشر، وذلك من خلال بعض الملاحق الأسبوعية، والتي بواسطتها تتم عملية تمرير الإيديولوجية الحزبية عن طريق المسألة الثقافية أو الإعلامية أو الدينية.

وهذا ما سنحاول التطرق إليه من خلال المبحث الثاني والذي سنركز فيه على الخطاب الحزبي غير المباشر لدى جريدة "العلم" بحكم أنها أول جريدة حزبية مستمرة عبر 50 سنة.

الهوامش:

- (1) جريدة الاتحاد الاشتراكي: العدد الأول 14 مايو 1983.
- (2) عبد الكريم غلاب: "الفكر التقدمي في الإيديولوجية التعادلية" مطبعة الرسالة، الرباط 1979 ص: 177.
- (3) نفس المرجع، ص: 166.
- (4) راجع بهذا الصدد: علال الفاسي، "النقد الذاتي"، مطبعة الدار البيضاء 1974.

- (5) المؤتمر العام الثاني عشر لحزب الاستقلال، منشورات المركز العام لحزب الاستقلال، مطبعة الرسالة 1990، ص: 78.
- (6) سأعتمد في دراسة الخطاب الاستقلالي على مجموعة من أعداد جريدة "العلم" لسنتي 95/94 ومن خلال عملية حسابية لمجموعة من أعداد سنوات 94، 95، 96: ما مجموعه 100 عدد، هناك فقط 33 عددا يحتوي على افتتاحية. أي بنسبة 33%.
- (7) من افتتاحية العدد 16253 المؤرخ بـ27 أكتوبر 1994.
- (8) من افتتاحية العدد 16264 المؤرخ بـ7 نونبر 1994.
- (9) من افتتاحية العدد 16282 المؤرخ بـ25 نونبر 1994.
- (10) من افتتاحية العدد 16649 المؤرخ بـ27 نونبر 1995.
- (11) المؤتمر العام الثاني عشر لحزب الاستقلال، مايو 1989، مطبعة الرسالة، ص: 147.
- (12) من افتتاحية العدد 16650 المؤرخ بـ28 نونبر 1995.
- (13) للمزيد من الاطلاع، الرجوع إلى هذه التقارير ضمن منشورات المركز العام لحزب الاستقلال.
- (14) جريدة الاتحاد الاشتراكي، العدد الأول، 14 مايو 1983.
- (15) خلافا لجريدة العلم، فإن الافتتاحية في الاتحاد الاشتراكي تكاد لا تظهر إلا في بعض الأحيان. فمن خلال 104 عدد من سنة 1995 هناك فقط 16 عددا الذي يحتوي على افتتاحية.
- (16) الاتحاد الاشتراكي، عدد 4090 المؤرخ في 20 أكتوبر 1994.
- (17) الاتحاد الاشتراكي، عدد 4300 المؤرخ في 20 مايو 1995.
- (18) الاتحاد الاشتراكي، عدد 4321 المؤرخ في 10 يونيو 1995.
- (19) الاتحاد الاشتراكي، عدد 4325 المؤرخ في 14 يونيو 1995.
- (20) الاتحاد الاشتراكي، عدد 4349 المؤرخ في 08 يوليو 1995.
- (21) الاتحاد الاشتراكي، عدد 4543 المؤرخ في 18 يناير 1996.
- (22) الاتحاد الاشتراكي، عدد 4565 المؤرخ في 09 فبراير 1996.
- (23) جريدة العلم، العدد 16240 بتاريخ 14 أكتوبر 1994.
- (24) جريدة العلم، العدد 16265 بتاريخ 08 نوفمبر 1994.
- (25) جريدة العلم، العدد 16512 بتاريخ 13 يوليو 1995.
- (26) جريدة العلم، العدد 16617 بتاريخ 26 أكتوبر 1995.
- (27) جريدة العلم، العدد 16812 بتاريخ 8 أكتوبر 1996.
- (28) تمثل نسبة تواجد العمود في الصحيفة 96% سنويا، وهذا يدل على أن ذ. مصطفى الشرفاوي، كاتب من يوم لآخر، يعتبر من أهم وأكبر منتبعي الأحداث اليومية، سياسية كانت أم اقتصادية أو اجتماعية .. وكما قال ذ. خالد مشبال: "مصطفى القرشاي .. لا توجد قضية ساخنة في أي ناحية أو منطقة بالمغرب، إلا وعالجها بمنظور مستقبلي متفتح".
- (29) الاتحاد الاشتراكي، العدد 4090 المؤرخ في 20 أكتوبر 1994.
- (30) الاتحاد الاشتراكي، العدد 4121 المؤرخ في 21 نونبر 1994.
- (31) الاتحاد الاشتراكي، العدد 4128 المؤرخ في 28 نونبر 1994.
- (32) الاتحاد الاشتراكي، العدد 4221 المؤرخ في 01 مارس 1995.
- (33) الاتحاد الاشتراكي، العدد 4226 المؤرخ في 06 مارس 1995.
- (34) الاتحاد الاشتراكي، العدد 4316 المؤرخ في 05 يونيو 1995.

المبحث الثاني: الجريدة والخطاب الحزبي غير المباشر

جريدة "العلم" نموذجا

تحتوي الجريدة كما هو معلوم على عدة أبواب مختلفة وموزعة حسب أوقات وأيام معينة... وهي في الغالب ما تكون عبارة عن مواد اجتماعية أو ثقافية أو إعلامية، جميعها خاضعة للخطاب وللتوجه السياسيين للحزب. وهذا ما يستشف من خلال دراسة هذا الخطاب غير المباشر عبر دراسة وتقيب في بعض صفحات الجريدة وعلى طول أيام الأسبوع. وستكون جريدة "العلم" لحزب الاستقلال في الميزان..

أولا: الخطاب غير المباشر في المسألة الثقافية

يعتبر الملحق الثقافي الأسبوعي لجريدة "العلم" من بين أهم المواد الإعلامية التي دأبت عليها الجريدة منذ مدة طويلة. حيث من خلاله يتم التركيز على تمرير الخطاب الاستقلالي عبر المسألة الثقافية. وبتاريخها، تعتبر جريدة "العلم" أول جريدة أصدرت ملحقا أسبوعيا ثقافيا، حيث كان ذلك خلال شهر شتنبر من سنة 1969، أي منذ 27 سنة.

يأتي الملحق الثقافي لجريدة "العلم" كل يوم سبت، وهو يساهم بشكل غير مباشر في التربية الحزبية التي ينتهجها حزب الاستقلال، وهذا الملحق يختص بالدراسات ذات الطابع الثقافي والنقدي إلى جانب الحس الفني والجمالي.

فالملاحق يضم أسبوعيا متابعات أدبية وقصائد شعرية ونصوص نقدية لمختلف الأعمال الأدبية، لكن كل ذلك في إطار ترسمه السياسة الحزبية الاستقلالية، -كيف لا والمدير المسؤول هو الأستاذ عبد الكريم غلاب- السياسي والمثقف.

إن ملامح الفكر الحزبي لتبدو واضحة في الملحق الثقافي، وذلك من خلال نشر كتابات بعض النصوص لكتاب منتمين حزبيا أو مناضلين في الإعلام الحزبي ضمن جريدة "العلم".

وعلى العموم، تبقى الثقافة من وجهة نظر الحزب هي -أساس التغيير، وضرورة سن سياسة تجعل من أهدافها الأساسية: خلق ثقافة وطنية تحررية، ديمقراطية، تخدم التنمية.

والثقافة الوطنية التحررية هي التي تعمل على تكوين المواطن الصالح المسؤول والواعي المتحرر من كل الاستلاب والتبعية، ذلك المواطن الديمقراطي التفكير والسلوك (1)

ثانيا: الخطاب غير المباشر في المسألة الدينية:

يعتبر الملحق الأسبوعي -الفكر الإسلامي- بمثابة الممثل الرسمي للفكر الاستقلالي من الوجهة الدينية، فهو يتشبه بالعقيدة الإسلامية انطلاقا من الفكر السلفي الذي رسمه زعيم الحزب "علال الفاسي"، هذا الفكر الذي يعتبر في نظر الحزب - فكرا ثوريا يستهدف الاعتماد على الإسلام الصحيح في تطوير المجتمع... وحزب الاستقلال يعتز بأنه استطاع أن يحافظ على اتجاهه الإسلامي، هذا بفضل الرائد الكبير علال الفاسي... (2).

من هنا يظهر جليا التوجه الاستقلالي الذي يعتمد أساسا على الفكر السلفي الذي كان سائدا في المشهد العربي، وبحكم تواجد المرحوم علال الفاسي بمصر وبحكم علاقاته مع كل من محمد عبده وجمال الدين الأفغاني، كان التأثير واضحا، وبالتالي كان "الفكر الإسلامي" ملحقا فكريا دينيا سلفيا ممزوجا بنبرة حزبية ظاهرة على جل الكتابات التي غالبا ما تكون من طرف المناضلين الحزبيين، شأنهم في ذلك شأن جميع المواد الأخرى، وبذلك يبقى الطابع الحزبي غير المباشر بارزا على معظم كلمات الملحق..
وكمثال على ذلك نقرأ:

* "الخطاب الاقتصادي عند علال الفاسي: ... التعادلية ليست بدعة جاء بها علال الفاسي، ولكنها مشروع مستمد من تصور الاقتصاد الإسلامي لسير الحياة الاقتصادية وتحقيق التوزيع العادل..."(3).

* "التربية الإسلامية بين الحاضر والمستقبل" قاسم الزهيري (4).

* "مناظرة الشبيبة الاستقلالية: مركز الإنسان في التنمية الحضارية من خلال رؤية الأستاذ علال الفاسي" د. أحمد الوكيل (5).

* "الوطنية والعالمية في فكر علال الفاسي" أحمد البوكيلي (6).

* "أثر رجالات المقاومة في بناء شخصية على أحمد باكثير، علال الفاسي نموذجا" (7).

كما أن هناك عدة نصوص أخرى يأتي بها ملحق الفكر الإسلام لتكون بمثابة الرؤية المنهجية لحزب الاستقلال اتجاه قضايا ومواضيع إسلامية، وغالبا ما يكون كتاب هذه النصوص من المناضلين الاستقلاليين المحافظين على التراث الإسلامي السلفي، ومن المروجين للإيديولوجية التعادلية.

ثالثا: الكاريكاتير والخطاب غير المباشر:

يعتبر الكاريكاتير بمثابة الريشة الخفية التي تعبر عن رأي الحزب اتجاه مختلف القضايا الراهنة بطريقة فنية ساخرة... والكاريكاتير من المواد الثابتة في جريدة "العلم"، يأخذ مكانا بارزا ضمن الصفحة الأخيرة التي تعتبر الوجه الثاني للصفحة الأولى.

فمن خلاله يتم التعبير عن قضايا وأحداث مختلفة في شكل معبر معتمد على السخرية الفنية، وعلى التركيز في مضمون وكنه الحدث المراد التعبير عنه.. ولعل ريشة "الصبان" أصبحت غنية عن كل تعريف في الوسط الصحافي المغربي من خلال رسوماته التعبيرية ضمن "العلم"... فهي غالبا ما تكون أكثر تعبيرية من أي مقال يكتب.

لكن هل تخلو ريشة "الصبان" من إيديولوجية معينة؟ بالطبع لا. فمعظم القضايا المعالجة بالكاريكاتير في جريدة "العلم" تعطي موقف حزب الاستقلال من الموضوع المعبر عنه، خصوصا وأن الحزب هو الآن في صف المعارضة البرلمانية، الشيء الذي يعطي للكاريكاتير صبغة أخرى تضي عليه طابع السخرية الانتقادية للسياسة الحكومية. أما موقف الحزب فيما يخص بعض القضايا الدولية فتظهر جلية وكأنها أحرف ناطقة.. من مثل موقف الحزب اتجاه التطبيع والشراكة مع أوروبا واتفاقية الصيد البحري... إلى غير ذلك من المواقف.

ولكي نعطي صورة حول مضمون كاريكاتير "العلم"، استوجب الأمر القيام بقراءة لريشة "الصبان" عبر عدة أعداد، فكان التعبير عن:

* قانون الحريات العامة.. يساوي:

حق النظار بفوز فرق كرة القدم / "العلم" عدد 16833 - 29 مايو 1996.

حق التجمع في الحفلات والأعراس / "العلم" عدد 16833 - 29 مايو 1996.

- حق التنظيم ضمن ركاب الحافلة / "العلم" عدد 16833 - 29 مايو 1996.
- * حملة التطهير ممثلة في اليد التي تطل الموظف الصغير غير مبالية بكبار القوم! / "العلم" عدد 16812 - 8 مايو 1996.
- * الزيادات الجديدة في الأسعار التي تدوس الأجور القارة / "العلم" عدد 1679 - 14 أبريل 1996.
- * استفحال ظاهرة الرشوة في الإدارة المغربية / "العلم" 16788 - 16 أبريل 1996.
- * سنة سعيدة وزيادة جديدة في فاتورة الماء / "العلم" 16303 - 16 دجنبر 1994.
- * ثقل حجم الواردات نحو المغرب بالمقارنة مع الصادرات المتمثلة في اليد العاملة / "العلم" 16282 - 1994.
- * الصيد البحري في المغرب بين اللوبي الإسباني واللوبي المغربي / 16280 - 23 نونبر 1994.
- * ضعف القدرة الشرائية لدى المواطن المغربي أمام ثقل المعيشة / 16259 - 2 نونبر 1994.
- * الإعلام الرسمي المغربي الذي يعلن دائما بأن -العام كان زين- / 16390 - 13 مارس 1995.
- * الجفاف والمياه المتدفقة على ملاعب الكولف / 16478 - 9 يونيو 1995.
- * المنتظم الدولي وقضية البوسنة / 16491 - 22 يونيو 1995.
- * الإدارة المغربية والفضائح المالية / 16512 - 13 يوليو 1995.

من خلال كل ما سبق من الأبواب الثابتة لجريدة "العلم"، يظهر لنا بأن معالجة أي موضوع لا يتم خارج إطار سياسة الحزب.. هذا الأخير الذي يسهر على تطبيق مبادئه ونشر أفكاره وتوجهاته من خلال تلك المادة الإعلامية. وتبقى تلك السياسة أيضا هي صاحبة الحل والعقد، إذ لا يمكن تمرير أي خطاب دون اللجوء إلى -أدلجته- وقراءته قراءة متحيزة.

أما الشيء الذي لا يمكن للجريدة أن تحيد عنه، فهو تغطية كافة أنشطة الحزب بتخصيص حيز كبير ضمن صفحاتها لنشر بلاغات واجتماعات وتنقلات... كل ما له صلة بالحزب، وهذا شيء مبالغ فيه إلى حد الغلو، لأن ذلك يؤثر على المادة الإعلامية الصرفة التي من أجلها يقتني المواطن الجريدة..

الهوامش:

- (1) التقرير الاجتماعي المنبثق عن المؤتمر الثاني عشر لحزب الاستقلال. منشورات المركز العام لحزب الاستقلال، 1990، ص: 113.
- (2) التقرير المذهبي المنبثق عن المؤتمر الثاني عشر لحزب الاستقلال، منشورات المركز العام لحزب الاستقلال، 1990 ص: 40.

- (3) ملحق الفكر الإسلامي لجريدة "العلم" الصادر في 25 نونبر 1994.
- (4) ملحق الفكر الإسلامي لجريدة "العلم" الصادر في 25 نونبر 1994.
- (5) ملحق الفكر الإسلامي لجريدة "العلم" الصادر في 10 مارس 1995.
- (6) ملحق الفكر الإسلامي لجريدة "العلم" الصادر في 09 يونيو 1995.
- (7) ملحق الفكر الإسلامي لجريدة "العلم" الصادر في 16 يونيو 1995.

